سلسلة مفاهيم ـب أن تصحح

كلمة هادئة

فهم السلف للأحاديث ا و ة للتشبيه

بقلم

الدكتور/ عمر عبد ا كامل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين من أُوتي جوامع الكلم أبلغ البلغاء سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين

وبعد :

فإن آيات وأحاديث الصفات قد أخذت حيزاً كبيرا من مناقشات المسلمين في العصور الأخيرة وكنا نود أن نشير إلى موقف سلف الأمة وعلمائها السابقين من هذه الآيات والأحاديث وأسلوب فهمها عن طريق عرض نماذج من كلامهم في تفسير هذه الأحاديث وتأويل ما أشكل من ألفاظها وكتب التفسير والحديث طافحة بهذه النماذج حتى قال بعض العلماء :

" . . . ومن قال لا أقول بالتأويل ولا أشبه فقد تأول لأنه إذا عدل عن معنى النزول عنده ومعنى اليمين في حديث (الحجر الأسود) يمين الله في الأرض إلى غير ذلك فقد تأول ، فلا محيص لكم عن التأويل بحال "

ومن هنا يتبين أن السلف والخلف مؤولون لإجماعهم على صرف اللفظ عن ظاهرة ، ولكن تأويل السلف إجمالي لتفويضهم إلى الله تعالى وتأويل الخلف تفصيلي لاضطرارهم إليهم لكثرة المبتدعين .

وقد أحببنا أن نعرض نماذج لفهم هذه الأحاديث مقسمه على ثلاثة أقسام :

الأول الأحاديث التي توهم التجسيم والأعضاء و . . . الخ

الثاني : ما ينسب إلى الله سبحانه الحركة والانتقال .

الثالث : ما ينسب إلى الله سبحانه من الانفعالات النفسية .

(أ) أحاديث توهم التجسيم والأعضاء

أحاديث الصورة:

" عن عطاء بن يزيد الليثي أن أبا هريرة أخبره أن أناساً قالوا لرسول الله ﷺ : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : " هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا يا رسول الله قال : هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا : لا يا رسول الله . قال : فإنكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئاً فليتبعه . . . "الى أن قال: " فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم ، فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه . . . "[1] الحديث

قال النووي في شرحه لهذا الحديث:

قوله ﷺ : (فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون . . . فيتبعونه)

أعلم أن لأهل العلم في أحاديث الصفات وآيات الصفات قولين : أحدهما وهو مذهب معظم السلف أو كلهم ، انه لا يتكلم في معناها بل يقولون: يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته مع اعتقادنا الجازم أن الله تعالى ليس كمثله شيء وأنه منزه عن التجسيم والانتقال والتحيز في جهة وعن سائر صفات المخلوق وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين واختاره جماعة من محققيهم وهو أسلم والقول الثاني وهو مذهب معظم المتكلمين أنها تتأول على ما يليق بها حسب مواقعها وإنما يسوغ تأويلها لمن كان من أهله بأن يكون عارفا بلسان العرب وقواعد الأصول والفروع ذا رياضة في العلم .

---

(١) رواه مسلم كتاب الأيمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم سبحانه وتعالى ح ١٨٠ ونحوه في البخاري كتاب الرقاق باب الصراط جسر جهنم ح ٦٥٧٣ . ط دار الغد .

وأما قوله ﷺ: (فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون) فالمراد بالصورة هنا الصفة ومعناه فيتجلى الله سبحانه وتعالى لهم على الصفة التي يعلمونها ويعرفونه بها وإنما عرفوه بصفته وإن لم تكن تقدمت لهم رؤية له سبحانه وتعالى لأنهم يرونه لا يشبه شيئاً من مخلوقاته وقد علموا انه لا يشبه شيئا من مخلوقاته[١] فيعلمون أنه ربهم فيقولون أنت ربنا وإنما عبر بالصورة عن الصفة لمشابهتها إياها ولمجانسة الكلام .[٢]

أ.هـ

نقل الإمام البيهقي في كتاب الأسماء والصفات عن الإمام الحافظ أبي سليمان الخطابي أنه قال: وأما ذكر الصورة في هذه القصة فإن الذي يجب علينا وعلى كل مسلم أن يعلمه أن ربنا ليس بذي صورة ولا هيئة فإن الصورة تقتضي الكيفية وهي عن الله وصفاته منفية وقد يتأول معناها على وجهين (أحدهما) أن تكون الصورة بمعنى الصفة كقول القائل صورة هذا الأمر كذا وكذا ، يريد صفته فتوضع الصورة موضع الصفة (والوجه الأخر) أن المذكور من المعبودات في أول الحديث إنما هي صور وأجسام كالشمس والقمر والطواغيت ونحوها ، ثم لما عطف عليها ذكر الله سبحانه خرج الكلام فيه على نوع من المطابقة [٣]

فقيل يأتيهم الله في صورة كذا إذ كانت المذكورات قبله صورا وأجساماً وقد يحمل آخر الكلام على أوله في اللفظ ويعطف بأحد الاسمين على الأخر والمعنيان متباينان وهو كثير في كلامهم كالعمرين والأسودين والعصرين ، ومثله في الكلام كثير ومما يؤكد التأويل الأول وهو " أن معنى الصورة الصفة " قوله من رواية عطاء بن يسار عن أبي سعيد " فيأتيهم الله في أدنى صورة

(٢) ولعل مراده أنهم ولم يرو الله عز وجل حينما رأوه حكموا أنه لا يشبه مخلوقاته لما علموه من ذلك مسبقاً.
(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (٣/٣٩٥) ط. دار الخير.
(١) أي صنعة المشاكلة في علم البديع .

من التي رأوه فيها: وهم لم يكونوا رأوه قط قبل ذلك " فعلمت أن المعنى في ذلك الصفة التي عرفوه بها وقد تكون الرؤية بمعنى العلم ، كقوله: (وأرنا مناسكنا) أي علّمنا .

قال أبو سليمان: ومن الواجب في هذا الباب أن نعلم أن مثل هذه الألفاظ التي تستشنعها النفوس إنما خرجت على سعة مجال كلام العرب ومصارف لغاتها وأن مذهب كثير من الصحابة وأكثر الرواة من أهل النقل الاجتهاد في أداء المعنى دون مراعاة أعيان الألفاظ وكل منهم يرويه على حسب معرفته ومقدار فهمه وعادة البيان من لغته ، وعلى أهل العلم أن يلزموا أحسن الظن بهم وأن يحسنوا التأني لمعرفة معاني ما رووه وأن ينزلوا كل شئ منه منزلة مثله ، فيما تقتضيه أحكام الدين ومعانيها وعلى أنك لا تجد بحمد الله ومنه شيئاً صحت به الرواية عن رسول الله ﷺ إلا وله تأويل يحتمله وجه الكلام ومعنى لا يستحيل في عقل أو معرفة . أ .هـ

ثم روى الحافظ البيهقي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه أنه قال: " إذا حدثتم عن رسول الله ﷺ حديثا فظنوا برسول الله ﷺ أهياه وأهداه"

وروى أيضا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: " إذا حدثتم عن رسول الله ﷺ فظنوا به الذي هو أهيأ وأهدى وأتقى "(1) أ .هـ

وقد ذكر الحافظ ابن حجر عند شرحه لهذا الحديث كلام النووي عن الصورة وأقره ، وعند قوله ﷺ " فإذا جاء ربنا عرفناه " ذكر أن القرطبي قال: " ثم يقال بعد ذلك للمؤمنين هل بينكم وبينه علامة ؟" .

ويقول ابن حجر في فتح الباري: وهذه الزيادة أيضا في حديث أبي سعيد و لفظه "آية تعرفونها فيقولون الساق فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد رياء وسمعة . . . " إلى أن قال

---

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي ص٢٩٦-٢٩٨ .

وفي رواية العلاء بن عبد الرحمن: " ثم يطلع عز وجل عليهم فيعرفهم نفسه ثم يقول: أنا ربكم فاتبعوني فيتبعه المسلمون "

وقوله في هذه الرواية: " فيعرفهم نفسه " أي يلقي في قلوبهم علما قطعيا يعرفون به أنه ربهم سبحانه وتعالى، وقال الكلاباذي في معاني الأخبار: عرفوه بأن أحدث فيهم لطائف عرفهم بها نفسه.

ومعنى كشف الساق: زوال الخوف والهول الذي غيرهم حتى غابوا عن رؤية عوراتهم "[1].

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ " إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه فإن الله خلق أدم على صورته " [2]

قال النووي في شرحه على صحيح مسلم لهذا الحديث:

قال المازري: هذا الحديث بهذا اللفظ ثابت ورواه بعضهم: " إلا الله خلق آدم على صورة الرحمن "، وليس بثابت عند أهل الحديث وكأن من نقله رواه بالمعنى الذي وقع له وغلط في ذلك.

قال المازري وقد غلط أبن قتيبة في هذا الحديث فأجراه على ظاهره قال: لله تعالى صورة لا كالصور وهذا الذي قاله ظاهر الفساد لأن الصورة تفيد التركيب وكل مركب محدث والله تعالى ليس هو مركبا فليس مصورا.

قال: وهذا كقول المجسمة: جسم لا كالأجسام لما رأوا أهل السنة يقولون: الباري سبحانه وتعالى شيء لا كالأشياء طردوا الاستعمال فقالوا: جسم لا كالأجسام. والفرق أن لفظ شيء لا يفيد الحدوث. قال: العجب من أبن قتيبة في قوله: صورة لا كالصور مع أن ظاهر الحديث على رأيه يقتضي خلق آدم على صورته فالصورتان على رأيه سواء فإذا قال: لا كالصور تناقض قوله ويقال له أيضاً: إن أردت بقولك: صورة لا كالصور أنه ليس بمؤلف ولا مركب فليس بصورة حقيقية وليست اللفظة على ظاهرها وحينئذ يكون موافقاً على افتقاره إلى التأويل واختلف العلماء في تأويله فقالت طائفة:

(١) فتح الباري (٤٥٤/١٧).

(٢) كتاب البر والصلة والآداب باب النهي عن ضرب الوجه ح ٢٦١٢.

الضمير في صورته عائد على الأخ المضروب وهذا ظاهر رواية مسلم وقالت طائفة يعود إلى الله تعالى ويكون المراد إضافة تشريف واختصاص كقوله تعالى : (ناقة الله) وكما يقال في الكعبة: بيت الله ونظائره والله أعلم .[1] أ . هـ

ويقول ابن حجر تعليقا على هذا الحديث وأختلف في الضمير على من يعود ؟ فالأكثر على أنه يعود على المضروب لما تقدم من الأمر بإكرام وجهه ولولا أن المراد التعليل بذلك لم يكن لهذه الجملة ارتباط بما قبلها .

وذكر ابن حجر حديث أبي هريرة مرفوعا "لا تقولن قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فإن الله خلق آدم على صورته"

يقول ابن حجر: وهو ظاهر في عود الضمير على المقول له ذلك[2] . أ . هـ .

وقال الإمام البيهقي في الأسماء والصفات بعد أن ساق ما ذكرناه من الأحاديث : وذهب بعض أهل النظر إلى أن الصور كلها لله تعالى على معنى الملك والفعل ثم ورد التخصيص في بعضها بالإضافة تشريفا وتكريما كما يقال ناقة الله وبيت الله ومسجد الله وعبر بعضهم بأنه سبحانه ابتدأ صورة ادم لا على مثال سابق ثم اخترع من بعده على مثاله فخص بالإضافة والله أعلم . وعلى هذا حملوا ما في هذا الحديث عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : " لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق أدم على صورة الرحمن " ويحتمل أن يكون لفظ الخبر في الأصل كما روينا في حديث أبي هريرة (يشير إلى لفظ على صورته) فأداه بعض الرواة على ما وقع في قلبه من معناه . أ.هـ

أقول على إن إسناد هذا الحديث معلول فقد قال الإمام الحافظ ابن خزيمة : في هذا الحديث ثلاث علل:

١. النوري خالف الأعمش وأرسل
٢. والأعمش مدلس وقد عنعن ولم يقل سمعت
٣. وكذلك حبيب. أ.هـ بمعناه

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (١٢٧/١٦).

(٤) فتح الباري حـ٨ صـ٥١–٥٢ ط.دار الغد

أحاديث اليد واليمين ونحوها

يقول الإمام ابن حجر العسقلاني في كتابه (فتح الباري) : كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ : اليد في اللغة تطلق لمعان كثيرة ، اجتمع لنا منها خمسة وعشرون معنى ما بين حقيقة ومجاز.
الأول: الجارحة ، الثاني : القوة نحو : ﴿ داود ذا الأيد ﴾ [(١)] والثالث: الملك ﴿ إن الفضل بيد الله ﴾ [(٢)] الرابع العهد: ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ [(٣)] ومنه قول : هذي يدي لك بالوفاء. الخامس: الاستسلام والانقياد .قال الشاعر :

۞ أطاع يداً بالقول فهو ذَلولُ ۞

السادس: النعمة، قال:

۞ وكم لظلال الليل عندي من يد ۞

السابع: الملك ﴿ قل إن الفضل بيد الله ﴾ الثامن : الذل ﴿ حتى يعطوا الجزية عن يد ﴾[(٤)] التاسع[(٥)]: الاختصاص ﴿ أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح ﴾ [(٦)] العاشر: السلطان . الحادي عشر: الطاعة. الثاني عشر: الجماعة. الثالث عشر: الطريق، يقال أخذتهم يد الساحل. الرابع عشر: التفرق : تفرقوا أيدي سبإ.

الخامس عشر: الحفظ. السادس عشر: يد القوس: أعلاها . السابع عشر يد السيف : مقبضه. الثامن عشر: يد الرحى : عود القابض. التاسع عشر: جناح الطائر. العشرون: المدة ، يقال لا ألقاه يد الدهر. الحادي والعشرون: الابتداء، يقال لقيته أول ذات يدي، وأعطاه عن ظهر يد. الثاني والعشرون: يد الثوب: ما فضل منه. الثالث والعشرون: يد الشيء: إمامه، الرابع والعشرون: الطاقة. الخامس والعشرون: النقد نحو بعته يدا بيد[(٧)]. أ.هـ

عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال:
" يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: (أنا الملك، أين ملوك الأرض؟) " [(٨)]
ورواه مسلم أيضاً
وفي رواية أخرى لمسلم عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ " يطوي الله عز وجل السموات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول: أنا الملك ، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ".
وفي رواية أخرى لمسلم أيضا

---

(١) الآية ١٧ من سورة ص.
(٢) الآية ٧٣ من سورة آل عمران ، ويلاحظ أنه كرر الثالث.
(٣) الآية ١٠ من سورة الفتح.
(٤) الآية ٢٩ من سورة التوبة .
(٥) هكذا بياض بالأصل ويحتمل ما أثبتناه وهو الاختصاص أي: له عقدة النكاح.
(٦) الآية ٢٣٧ من سورة البقرة.
(٧) فتح الباري (١٩/٤٤٧-٤٤٨)
(٨) صحيح البخاري ح ٦٥١٩ كتاب الرقاق – باب يقبض الله الأرض يوم القيامة.

عن عبيد الله بن مقسم أنه نظر إلى عبد الله بن عمر كيف يحكي رسول الله ﷺ قال: " يأخذ الله عز وجل سمواته وأراضيه بيده فيقول: أنا الله – ويقبض أصابعه ويبسطها – أنا الملك " حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه ، حتى إني لأقول: أساقط هو برسول الله ﷺ ؟.

قال النووي في شرح مسلم:

قال العلماء: المراد بقوله يقبض أصابعه ويبسطها النبي ﷺ ، ولهذا قال: إن أبن مقسم نظر إلى أبن عمر كيف يحكي رسول الله ﷺ . وأما إطلاق اليدين لله تعالى فمتأول على القدرة، وكنى عن ذلك باليدين، لأن أفعالنا تقع باليدين، فخوطبنا بما نفهمه ليكون أوضح وأوكد في النفوس ، وذكر اليمين والشمال حتى يتم المثال ، لأنا نتناول باليمين ما نكرمه ، وبالشمال ما دونه ، ولأن اليمين في حقنا يقوى لما

لا يقوى له الشمال. ومعلوم أن السموات أعظم من الأرض، فأضافها، إلى اليمين، والأرضيين إلى الشمال ليظهر التقريب في الاستعارة، وإن كان الله سبحانه وتعالى لا يوصف بأن شيئا أخف عليه من شيء ،

ولا أثقل من شيء ، هذا مختصر كلام المازري في هذا. قال القاضي: وفي هذا الحديث ثلاثة ألفاظ: يقبض، ويطوي، ويأخذ، كله بمعنى الجمع، لأن السموات مبسوطة، والأرضيين مدحوة وممدودة ، ثم يرجع ذلك إلى معنى الرفع والإزالة وتبديل الأرض غير الأرض والسموات ، فعاد كله إلى ضم بعضها إلى بعض، ورفعها وتبديلها بغيرها . قال: وقبض النبي ﷺ أصابعه وبسطها تمثيل لقبض هذه المخلوقات، وجمعها بعد بسطها وحكاية للمبسوط والمقبوض وهو السموات والأرضون لا إشارة إلى القبض والبسط الذي هو صفة القابض والباسط سبحانه وتعالى، ولا تمثيل لصفة الله تعالى السمعية المسماة باليد التي ليست بجارحة.

وقوله في المنبر: يتحرك من أسفل شيء منه أي من أسفله إلى أعلاه، لأن بحركة الأسفل يتحرك الأعلى، ويحتمل أن تحركه بحركة النبي ﷺ بهذه الإشارة. قال القاضي: ويحتمل أن يكون بنفسه هيبة لسمعه كما حن الجذع، ثم قال: والله أعلم بمراد نبيه ﷺ فيما ورد في هذه الأحاديث من مشكل ، ونحن نؤمن بالله تعالى وصفاته، ولا نشبه شيئا به، ولا نشبهه بشيء، ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ وما قاله رسول الله ﷺ وثبت عنه فهو حق وصدق، فما أدركنا علمه فبفضل الله تعالى ، وما خفي علينا آمنا به ووكلنا علمه إليه سبحانه وتعالى ، وحملنا لفظه على ما احتمل في لسان العرب الذي خوطبنا به ، ولم نقطع على أحد معنييه بعد تنزيهه سبحانه عن ظاهره الذي لا يليق به سبحانه وتعالى. وبالله التوفيق. "[١] أ.هـ

---

(١) من شرح النووي على صحيح مسلم كتاب (صفة المنافقين وأحكامهم) ح ٢٧٨٧ ، ح ٢٧٨٨.

١- في حديث الشفاعة
عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ " يجمع المؤمنون يوم القيامة ...."إلى أن قال:" فيأتون آدم فيقولون له: أنت آدم أبو البشر، خلقك الله بيده وأسجد لك الملائكة.... " [١] الحديث
٢- عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ " احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما ، فحج آدم موسى ، قال موسى أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة .... " [٢] الحديث
٣- - عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ " احتج آدم وموسى ، فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ، قال آدم : يا موسى اصطفاك الله بكلامه ، وخط لك بيده ، .... " [٣] الحديث
٤- عن المغيرة ابن شعبة يرفعه قال " سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة.... " الحديث وفيه: " قال: رب فأعلاهم منزلة قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها.... " [٤] الحديث
يقول الإمام ابن حجر في (فتح الباري) عند شرحه للحديث رقم (٦٦١٤):
" .... وإضافة الله خلق آدم إلى يده في الآية إضافة تشريف ، وكذا إضافة روحه إلى الله " أ.هـ.
ويقول النووي في شرحه لصحيح مسلم عند شرحه لحديث (احتج آدم وموسى..) رقم (٢٦٥٢) قوله (اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده) في اليد هنا المذهبانالسابقان.... أحدهما: الإيمان بها ولا يتعرض لتأويلها مع أن ظاهرها غير مراد ، والثاني: تأويلها على القدرة ومعنى اصطفاك أي اختصك وآثرك بذلك.

ويقول النووي أيضا عند شرحه لحديث (سأل موسى ربه...) الحديث رقم ١٨٩ من صحيح مسلم:
" .... وأما غرست كرامتهم بيدي إلى آخره فمعناه اصطفيتهم وتوليتهم فلا يتطرق إلى كرامتهم تغيير " أ. هـ. المقصود منه.

---

(١) صحيح البخاري ح ٧٥١٦ كتاب التوحيد ونحوه في مسلم ح (١٩٣) باب شفاعة ﷺ ، كتاب الإيمان .
(٢) رواه مسلم ح ٢٦٥٢ كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام.
(٣) رواه البخاري ح ٦٦١٤ كتاب القدر باب تحاج آدم وموسى عند الله تعالى.
(٤) رواه مسلم ح ١٨٩ كتاب الإيمان باب آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا الجنة.

حديث الأصابع

عن عبد الله بن مسعود قال: جاء حبر إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد ، أو يا أبا القاسم ، إن الله تعالى يمسك السموات يوم القيامة على إصبع ، والأرضيين على إصبع ، والجبال والشجر على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع ، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك أنا الملك فضحك رسول الله ﷺ تعجبا مما قال الحبر تصديقا له ثم قرأ: ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ [(١)]

قال الإمام علي بن خلف بن بطال شارح صحيح البخاري: " لا يحمل ذكر الإصبع على الجارحة ، بل يحمل على أنه صفة من صفات الذات ، لا تكيف ولا تحدد ، وهذا ينسب للأشعري ، وعن ابن فورك: يجوز أن يكون الإصبع خلقاً يخلقه الله فيحمله الله ما يحمل الإصبع ، ويحتمل أن يراد به القدرة والسلطان كقول القائل: ما فلان إلا بين إصبعي ، إذا أراد الإخبار عن قدرته عليه "

إلى أن قال: " وحاصل الخبر أنه ذكر المخلوقات ، وأخبر عن قدرة الله على جميعها ، فضحك النبي ﷺ تصديقاً له وتعجبا من كونه يستعظم ذلك في قدرة الله تعالى ، وأن ذلك ليس في جنب ما يقدر عليه بعظيم ولذلك قرأ قوله تعالى: ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ الآية أي ليس قدره في القدرة على ما يخلق على الحد الذي ينتهي إليه الوهم ويحيط به الحصر ، لأنه تعالى يقدر على إمساك مخلوقاته على غير شيء كما هي اليوم. قال تعالى: ﴿ إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ﴾ وقال: ﴿ رفع السموات بغير عمدٍ ترونها ﴾ نقل ذلك ابن حجر في (فتح الباري) ثم قال: وقال الخطابي : لم يقع ذكر الإصبع في القرآن ولا في حديث مقطوع به ، وقد تقرر أن اليد ليست بجارحة حتى يتوهم من ثبوتها ثبوت الأصابع ،

بل هو توقيف أطلقه الشارع فلا يكيف ولا يشبه، ولعل ذكر الأصابع من تخليط اليهودي، فإن اليهود مشبهة وفيما يدعونه من التوراة ألفاظ تدخل في باب التشبيه ولا تدخل في مذاهب المسلمين. وأما ضحكه ﷺ من قول الحبر فيحتمل الرضا والإنكار ، وأما قول الراوي: " تصديقاً له " فظن منه وحسبان وقد جاء الحديث من عدة طرق ليس فيها هذه الزيادة ، وعلى تقدير صحتها فقد يستدل بحمرة الوجه على الخجل . وبصفرته على الوجل ، ويكون الأمر بخلاف ذلك. فقد تكون الحمرة لأمر حدث في البدن كثوران الدم . والصفرة لثوران خلط مرار وغيره ، وعلى تقدير أن يكون ذلك محفوظاً فهو محمول على تأويل قوله تعالى: ﴿ والسموات مطويات بيمينه ﴾ أي قدرته على طيها وسهولة الأمر عليه في جمعها بمنزلة من جمع شيئاً في كفه واستقل بحمله من غير أن يجمع كفه عليه ، بل يقله ببعض أصابعه. وقد جرى في أمثالهم: فلان يقل كذا بإصبعه ويعمله بخنصره انتهى ملخصا.

---

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم كتاب صفة الجنة والنار ح (٢٧٨٦) ورواه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (لما خلقت بيدي) ح (٧٤١٤).

قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم:
" قوله : إن الله يمسك السموات على إصبع ، والأرضيين على إصبع ، إلى قوله : ثم يهزهن هذا من أحاديث الصفات ، وقد سبق فيها المذهبان التأويل ، والإمساك عنه مع الإيمان بها ، مع اعتقاد أن الظاهر منها غير مراد ، فعلى المتأولين يتأولون الأصابع هنا على الاقتدار أي خلقها مع عظمها بلا تعب ولا ملل ، والناس يذكرون الإصبع في مثل هذا للمبالغة والاحتقار ، فيقول أحدهم: بإصبعي أقتل زيداً أي لا كلفة عليَ في قتله . وقيل: يحتمل أن المراد أصابع بعض مخلوقاته ، وهذا غير ممتنع ، والمقصود أن يد الجارحة مستحيلة.
قوله: فضحك رسول الله ﷺ تعجبا مما قال الحبر تصديقاً له ، ثم قرأ: ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴾ ظاهر الحديث أن النبي ﷺ صدق الحبر في قوله : إن الله تعالى يقبض السموات والأرضيين والمخلوقات بالإصبع ، ثم قرأ الآية التي فيها الإشارة إلى نحو ما يقول. قال القاضي: وقال بعض المتكلمين: ليس ضحكه ﷺ وتعجبه وتلاوته للآية تصديقاً للحبر ، بل هو رد لقوله ، وإنكار وتعجب من سوء اعتقاده ، فإن مذهب اليهود التجسيم ، ففهم منه ذلك ، وقوله: تصديقاً له إنما هو من كلام الراوي على ما فهم ، والأول أظهر." [1]
أخرج مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:
" إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء " ثم قال رسول الله ﷺ " اللهم مُصرِّف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك " [٢٢]

يقول الإمام النووي في شرحه للحديث : " هذا من أحاديث الصفات وفيها القولان السابقان قريباً: أحدهما: الإيمان بها من غير تعرض لتأويل ولا لمعرفة المعنى ، بل يؤمن بأنها حق وأن ظاهرها غير مراد قال الله تعالى: (ليس كمثله شيء)
الثاني : يتأول بحسب ما يليق بها ، فعلى هذا المراد المجاز: كما يقال (فلان في قبضتي) و (في كفي)، لا يراد به أنه حال في كفه ، بل المراد: تخت قدرتي.
ويقال (فلان بين أُصبُعَيّ أقلبه كيف شئت) أي: أنّه مِنِيِّ على قهره والتصرف فيه كيف شِئْتُ.
فمعنى الحديث أنه سبحانه وتعالى متصرف في قلوب عباده وغيرها كيف شاء ، لا يمتنع عليه منها شيء ولا يفوته ما أراده كما لا يمتنع على الإنسان ما كان بين إصبعيه ، فخاطب العرب بما يفهمونه ومثله بالمعاني الحسية تأكيداً له في نفوسهم.
فإن قيل : فقدرة الله تعالى واحدة ، والأصبعان للتثنية ، فالجواب: أنه قد سبق أن هذا مجاز واستعارة ، فوقع التمثيل بحسب ما اعتاده غير مقصود به التثنية والجمع والله أعلم " أ.هـ.

---

(١) من كتاب صفة الجنة والنار ح (٢٧٨٦).
(٢) في كتاب القدر باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء ح (٢٦٥٤).

روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن ناسا في زمن رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟قال رسول الله ﷺ :" نعم ، قال هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب ؟ ..."إلي أن قال:" فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود.... " (١) الحديث

قال النووي في شرحه لهذا الحديث عند قوله ﷺ (فيكشف عن ساق): ضبط يكشف بفتح الياء وضمها وهما صحيحان.

وفسر ابن عباس وجمهور أهل اللغة وغريب الحديث الساق عنها بالشدة أي يكشف عن شدة وأمر مهول، وهذا مثل تضربه العرب لشدة الأمر، ولهذا يقولون: قامت الحرب على ساق. وأصله أن الإنسان إذا وقع في أمر شديد شمر ساعده، وكشف عن ساقه للاهتمام به.

قال القاضي عياض رحمه الله: وقيل : والمراد بالساق هنا نور عظيم ، وورد ذلك في حديث عن النبي ﷺ قال ابن فورك: ومعنى ذلك ما يتجدد للمؤمنين عند رؤية الله تعالى من الفوائد والألطاف.

قال القاضي عياض : وقيل : قد يكون الساق علامة بينه وبين المؤمنين من ظهور جماعة من الملائكة على خلقه عظيمة لأنه يقال : ساق من الناس ، كما يقال: رجل من جراد ، وقيل : قد يكون ساق مخلوقاً جعله الله تعالى علامة للمؤمنين خارجة عن السوق المعتادة ، وقيل : معناه كشف الخوف وإزالة الرعب عنهم وما كان غلب على قلوبهم من الأهوال فتطمئن حينئذ نفوسهم عند ذلك ، ويتجلى لهم فيخرون سجدا.(٢) أ. هـ .

روى البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال:" قلنا يا رسول الله : هل نرى ربنا يوم القيامة ..."إلي أن قال:" فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه ؟ فيقولون الساق، فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن.... " (٣) الحديث

قال ابن حجر في فتح الباري في شرحه لهذا الحديث:

قال: وأما الساق فجاء عن ابن عباس في قوله تعالى: " يوم يكشف عن ساق "(٤).

قال: عن شدة من الأمر، والعرب تقول قامت الحرب على ساق إذا اشتدت ومنه

قد سن أصحابك ضرب الأعناق وقامت الحرب بنا على ساق

وجاء عن أبي موسى الأشعري في تفسيرها: عن نور عظيم ، قال أبن فورك : معناه ما يتجدد للمؤمنين من الفوائد والألطاف.

---

(١) ح رقم ١٨٣ كتاب الإيمان باب رؤية المؤمنين ربهم سبحانه وتعالى.

(٢) انظر شرح النووي لصحيح مسلم (٤٠١/٣) ح ١٨٣.

(٣) ح رقم ٧٤٣٩ كتاب التوحيد باب " وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ".

(٤) آية ٤٢، من سورة القلم

وقال المهلب: كشف الساق للمؤمنين رحمة ، ولغيرهم نقمة ، وقال الخطابي: تهيب كثير من الشيوخ الخوض في معنى الساق ومعنى قول ابن عباس إن الله يكشف عن قدرته التي تظهر بها الشدة ، وأسند البيهقي الأثر المذكور عن ابن عباس بسندين كل منها حسن ، وزاد : إذا خفي عليكم شيء من القرآن فاتبعوه من الشعر وذكر الرجز المشار إليه ، وأنشد الخطابي في إطلاق الساق على الأمر الشديد:

* في سنة قد كشفت عن ساقها *

وأسند البيهقي من وجه آخر صحيح عن ابن عباس قال: يريد يوم القيامة ، قال الخطابي: وقد يطلق ويراد النفس.[١] أ.هـ

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ " تحاجت الجنة والنار ، فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمجبرين ..." إلى ان قال : " فأما النار فلا تمتليء حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله تقول: قط قط فهنالك النار تمتليء ويزوي بعضها إلى بعض .... " [٢] الحديث

وفي رواية أخرى: عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: " لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول : هل من مزيد ، حتى يضع رب العزة فيها قدمه ، فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط بعزتك وكرمك .... " [٣] الحديث.

قال النووي في شرح صحيح مسلم على هذا الحديث :

قوله ﷺ : " فأما النار فلا تمتليء حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله "

وفي الرواية التي بعدها : " لا تزال جهنم تقول : هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة تبارك وتعالى قدمه فتقول: قط قط".

هذا الحديث من مشاهير أحاديث الصفات ، وقد سبق مرات بيان اختلاف العلماء فيها على مذهبين: أحدهما ، وهو قول جمهور السلف ، وطائفة من المتكلمين أنه لا يتكلم في تأويلها ، بل نؤمن أنها حق على ما أراد الله ، ولها معنى يليق بها ، وظاهرها غير مراد.

والثاني وهو قول جمهور المتكلمين أنها تتأول بحسب ما يليق بها. فعلى هذا اختلفوا في تأويل هذا الحديث ، فقيل: المراد بالقدم هنا المتقدم ، وهو شائع في اللغة ، ومعناه حتى يضع الله تعالى فيها من قدمه لها من أهل العذاب .

قال المازري والقاضي: هذا تأويل النضر بن شميل ونحوه عن ابن الأعرابي

الثاني: أن المراد قدم بعض المخلوقين، فيعود الضمير في قدمه إلى ذلك المخلوق المعلوم.

الثالث:أنه يحتمل أن في المخلوقات ما يسمى بهذه التسمية . وأما الرواية التي فيها يضع الله فيها رجله فقد زعم الإمام ابن فورك أنها غير ثابتة عند أهل النقل ، ولكن قد

---

(١) انظر فتح الباري ح ٧٤٣٩ (٤٨٤/١٩ – ٤٨٥).
(٢) كتاب الجنة وصفة نعيمها باب جهنم أعاذنا الله منها ح ٢٨٤٦.
(٣) كتاب الجنة وصفة نعيمها باب جهنم أعاذنا الله منها ح ٢٨٤٨.

رواها مسلم وغيره فهي صحيحة ، وتأويلها كما سبق في القدم ، ويجوز أيضا أن يراد بالرجل الجماعة من الناس كما يقال رجل من جراد أي قطعة منه.
قال القاضي: أظهر التأويلات أنهم قوم استحقوها وخلقوا لها.
قالوا: ولابد من صرفه عن ظاهره لقيام الدليل القطعي العقلي على استحالة الجارحة على الله تعالى.[1] أ.هـ
روى البخاري في صحيحه عن أنس ﵁ عن النبي ﷺ قال: " يلقى في النار وتقول هل من مزيد حتى يضع قدمه فتقول قط قط " [2]
وفي رواية أخرى : " تحاجت الجنة والنار ..." إلى ان قال : " فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع رجله فتقول قط قط ... "[3] الحديث.
قال ابن حجر في فتح الباري في شرحه لهذا الحديث:
واختلف في المراد بالقدم فطريق السلف في هذا وغيره مشهورة وهو أن تمر كما جاءت ولا يتعرض لتأويله بل نعتقد استحالة ما يوهم النقص على الله. وخاض كثير من أهل العلم في تأويل ذلك فقال: المراد إذلال جهنم فإنها إذا بالغت في الطغيان وطلب المزيد أذلها الله فوضعها تحت القدم وليس المراد حقيقة القدم.
والعرب تستعمل ألفاظ الأعضاء في ضرب الأمثال ولا تريد أعيانها كقولهم رغم أنفه وسقط في يده. وقيل المراد بالقدم الفرط السابق : أي يضع الله فيها ما قدمه لها من أهل العذاب قال الإسماعيلي: القدم قد يكون اسما لما قدم كما يسمى ما خبط من ورق خبطا. فالمعنى ما قدموا من عمل.
وقيل المراد بالقدم قدم بعض المخلوقين فالضمير للمخلوق معلوم، أو يكون هناك مخلوق اسمه قدم أو المراد بالقدم الأخير لأن القدم أخر الأعضاء فيكون المعنى: حتى يضع الله في النار أخر أهلها فيها ويكون الضمير للمزيد. وقال ابن حبان في صحيحه بعد إخراجه : هذا من الأخبار التي أطلقت بتمثيل المجاورة وذلك أن يوم القيامة يلقى في النار من الأمم والأمكنة التي عُصي الله فيها فلا تزال تستزيد حتى يضع الرب فيها موضعا من الأمكنة المذكورة فتمتليء لأن العرب تطلق القدم على الموضع قال تعالى (أن لهم قدم صدق) يريد موضع صدق.
وقال الداودي : المراد بالقدم قدم صدق وهو محمد والإشارة بذلك إلى شفاعته وهو المقام المحمود فيخرج من كان في قلبه شيء من الإيمان وتعقب بأن هذا منابذ لنص الحديث لأن فيه يضع قدمه بعد أن قالت (هل من مزيد) والذي قاله مقتضاه أنه ينقص منها وصريح الخبر أنها تنزوي بما يجعل فيها لا بما يخرج منها.
قلت : ويحتمل أن يوجه بأن من يخرج منها يبدل عوضهم من أهل الكفر كما حملوا عليه حديث أبي موسى في صحيح مسلم: " يعطي كل مسلم رجلا من اليهود والنصارى فيقال هذا فداؤك من النار " فإن بعض العلماء قال: المراد بذلك أنه يقع

---

(١) النووي شرح صحيح مسلم (١٧/٣١٠–٣١١) ح (٢٨٤٦) .

(٢) ح٤٨٤٨ كتاب التفسير باب قوله تعالى " وتقول هل من مزيد " .

(٣) ح٤٨٥٠ كتاب التفسير باب قوله تعالى " وتقول هل من مزيد " .

عند إخراج الموحدين وأنه يجعل مكان كل واحدا منهم واحد من الكفار بأن يعظم حتى يسد مكانه ومكان الذي خرج وحينئذ فالقدم سبب للعظم المذكور فإذا قع العظم حصل الملء الذي تطلبه
ثم قال : وقال أبو الوفاء بن عقيل : تعالى الله عن أنه لا يعمل أمره في النار حتى يستعين عليها بشيء

من ذاته أو صفاته وهو القائل للنار: " كوني برداً وسلاماً " فمن يأمر نارا أججها غيره أن تنقلب عن طبعها وهو الإحراق فتنقلب كيف يحتاج في نار يؤججها هو إلى استعانة؟[1] انتهى.

---

(١) فتح الباري (٥٧١/١٣ – ٥٧٢) .

(ب) أحاديث توهم الحركة والانتقال

حديث النزول

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فاستجيب له .... "[1] الحديث

قال النووي في شرحه لهذا الحديث:
قوله ﷺ " ينزل ربنا ....الخ"
هذا الحديث من أحاديث الصفات ، وفيه مذهبان مشهوران للعلماء سبق إيضاحهما في كتاب الإيمان ومختصرهما أن أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد
، ولا يتكلم في تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق، وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق
والثاني مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف وهو محكي هنا عن مالك والاوزاعي أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها فعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين أحدهما تأويل مالك بن أنس وغيره معناه تتنزل رحمته وأمره وملائكته كما يقال: فعل السلطان كذا إذا فعله إتباعه بأمره ، والثاني أنه على الاستعارة ومعناه الإقبال على الداعين بالإجابة واللطف. والله أعلم." أ.هـ

وعبارة الإمام مالك " يتنزل ربنا – تبارك وتعالى – أمره فأما هو فدائم لا يزول " [2] أ.هـ
قال ابن حجر في فتح الباري:
قوله: " ينزل ربنا إلى السماء الدنيا " استدل به من أثبت الجهة وقال هي جهة العلو ، وأنكر ذلك الجمهور لأن القول بذلك يفضي إلى التحيز ، تعالى الله عن ذلك.
وقد اختلف في معنى النزول على أقوال ، فمنهم من حمله على ظاهره وحقيقتة وهم المشبهة ، تعالى الله عن قولهم
إلى أن قال " ومنهم من أجراه على ما ورد مؤمنا به على طريق الإجمال منزها الله تعالى عن الكيفية والتشبيه وهم جمهور السلف.

---

(١) ح ٧٥٨ باب صلاة الليل والوتر كتاب صلاة المسافرين وقصرها.ورواه البخاري ح ١١٤٥ باب الدعاء والصلاة من آخر الليل كتاب التهجد

(٢) تأويلات الإمام مالك أنظر التمهيد (١٤٣/٧) لابن عبد البر ، سير أعلام النبلاء (١٠٥/٨) ، يقول يحيى بن كثير تلميذ مالك " حسن والله ... " فهو متابع له فيه.

ونقله البيهقي عن الأئمة الأربعة و السفيانين [سفيان الثوري وسفيان بن عيينة] والحمادين [حماد بن زيد وحماد بن سلمة] والاوزاعي والليث وغيرهم .... ". إلى أن قال:
ومنهم من فصل بين ما يكون تأويله قريبا مستعملا في كلام العرب.
وبين ما يكون بعيدا مهجورا فأول في بعض وفوض في بعض وهو منقول عن مالك وجزم به من المتأخرين ابن دقيق العيد.
قال البيهقي: وأسلمها الإيمان بلا كيف والسكوت عن المراد إلا أن يرد ذلك عن الصادق فيصار إليه..."

إلى أن قال: " وقال ابن العربي : حكي عن المبتدعة رد هذه الأحاديث وعن السلف إمرارها ، وعن قوم تأويلها وبه أقول.
فأما قوله: " ينزل " فهو راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته بل ذلك عبارة عن ملكه الذي ينزل بأمره ونهيه والنزول كما يكون في الأجسام يكون في المعاني فإن حملته في الحديث على الحسي فتلك صفة الملك المبعوث بذلك ، وإن حملته على المعنوي بمعنى أنه لم يفعل ثم فعل فيسمي ذلك نزولا عن مرتبة إلى مرتبة فهي عربية صحيحه. انتهى.
وقال ابن حجر: والحاصل أنه تأوله بوجهين: إما بأن المعنى ينزل أمره أو الملك بأمره، وإما بأنه استعارة بمعنى التلطف بالداعين والإجابة لهم ونحوه.[1] أ.هـ
ويقول الإمام الحافظ ابن حزم في شرحه النزول الوارد في هذا الحديث:
وهذا إنما هو فعل يفعله الله تعالى في سماء الدنيا من الفتح لقبول الدعاء وأن تلك الساعة من مظان القبول والإجابة والمغفرة للمجتهدين والمستغفرين والتائبين وهذا معهود في اللغة تقول نزل فلان عن حقه بمعنى وهبه لي وتطول به علي. ومن البرهان على أنه صفة فعل لا صفة ذات أن رسول الله ﷺ علق التنزل المذكور بوقت محدود فصح أنه فعل محدث في ذلك الوقت مفعول حينئذ وقد علمنا أن ما لم يزل فليس متعلقا بزمان البته. وقد بين رسول الله ﷺ في بعض ألفاظ الحديث المذكور ما ذلك الفعل وهو أنه ذكر عليه السلام أن الله يأمر ملكا ينادي في ذلك الوقت بذلك.
وأيضا فإن ثلث الليل مختلف في البلاد باختلاف المطالع والمغارب يعلم ذلك ضرورة من بحث عنه فصح ضرورة أنه فعل يفعله ربنا تبارك وتعالى في ذلك الوقت لأهل كل أفق.[2] أ.هـ

وقال الحافظ ابن حيان في صحيحه (١٣٦/٢) عقب روايته لحديث النزول: " ينزل بلا آلة ولا تحرك ولا انتقال من مكان إلى مكان " أ.هـ

---

[1] فتح الباري (١٤٦/٤-١٤٧) .

[2] الفصل في الملل والأهواء والنحل (١٥٢/٢ وما بعدها) .

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة ﷺ أن ناسا قالوا لرسول الله ﷺ :" يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة .... " وفيه " فيأتيهم الله تبارك وتعالى... " [١] الحديث

يقول الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث : يقال في قوله ﷺ فيأتيهم الله بعد أن أشار إلى قولي أهل العلم في أحاديث وآيات الصفات وأن الأول التفويض مع التنزيه والثاني التأويل على ما يليق بها ثم قال: فعلى هذا المذهب –يقصد التأويل – يقال في قوله ﷺ فيأتيهم الله أن الإتيان عبارة عن رؤيتهم إياه لأن العادة أن من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته إلا بالإتيان فعبر بالإتيان و المجئ هنا عن الرؤية مجازا، و قيل الإتيان فعل من أفعال الله تعالى سماه إتيانا ، وقيل المراد بيأتيهم الله أي يأتيهم بعض ملائكة الله.

قال القاضي عياض رحمه الله: هذا الوجه أشبه عندي بالحديث.

قال: ويكون هذا الملك الذي جاءهم في الصورة التي أنكروها من سمات الحدث الظاهرة على الملك والمخلوق قال أو يكون معناه يأتيهم الله في صورة أي يأتيهم بصورة ويظهر لهم من صور ملائكته ومخلوقاته التي لا تشبه صفات الإله يختبرهم ، وهذا آخر امتحان المؤمنين فإذا قال لهم هذا الملك أو هذه الصورة: أنا ربكم رأوا عليه من علامات المخلوق ما ينكرونه ويعلمون أنه ليس ربهم ، ويستعيذون بالله منه. [٢] أ.ه

وقال ابن حجر في فتح الباري بنحو كلام النووي [٣]. أ.هـ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (٣٩٤/٣ -٣٩٥).

(٣)فتح الباري (٤٥٣/١٧)

(جـ) أحاديث توهم الانفعالات النفسية

حديث العجب والضحك والفرح

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال إني مجهود ..." إلى أن قال: " فلما أصبح غدا إلى النبي ﷺ فقال: " قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة " [١]

قال النووي في شرحه لهذا الحديث الحديث:

قوله ﷺ : " عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة "

قال القاضي: المراد بالعجب من الله رضاه ذلك.

قال: وقد يكون المراد عجبت ملائكة الله ، وأضافه إليه سبحانه وتعالى تشريفا. [٢] أ.هـ

وروى البخاري في صحيحه في موضعين عن أبي هريرة ﷺ : أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: ضحك الله الليلة أو عجب من فعلكما فأنزل الله " ويؤثرون على أنفسهم ... " [٣] الآية جزء من الآية ٩ سورة الحشر.

قال ابن حجر في شرحه على هذا الحديث (رقم ٣٧٩٨):

" ونسبة الضحك والتعجب إلى الله مجازية والمراد بهما الرضا بصنيعهما ". أ. هـ

وقال ابن حجر في الحديث الأخر رقم (٤٨٨٩):

" قال الخطابي: أخلاق العجب على الله محال ومعناه الرضا فكأنه قال إن ذلك الصنيع حل من الرضا عند الله حلول العجب عندكم قال: وقد يكون المراد بالعجب هنا أن الله يُعجِّب ملائكته من صنيعهما لندور ما وقع منهما في العادة، قال: وقال أبو عبد الله : " معنى الضحك هنا الرحمة. "

قال ابن حجر: " ولم أر ذلك في النسخ التي وقعت لنا من البخاري، قال الخطابي: وتأويل الضحك بالرضا أقرب من تأويله بالرحمة، لأن الضحك من الكرام يدل على الرضا فإنهم يوصفون بالبشر عند السؤال "

ثم قال ابن حجر: " الرضا من الله يستلزم الرحمة وهو لازمه والله أعلم " [٤]. أ.هـ

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ :

" ..... والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة.... " [٥] الحديث

قال النووي في شرحه على هذا الحديث عند قوله ﷺ : " لله أشد فرحاً بتوبة عبده ...

" قال العلماء: فرح الله تعالى هو رضاه ، و قال المازري :الفرح ينقسم على وجوه: منها السرور ، والسرور يقاربه الرضا بالمسرور به. قال: فالمراد هنا أن الله تعالى

---

(١) ح ٢٠٥٤ ،كتاب الأشربة ، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره.

(٢) شرح النووي على مسلم (٢٠٩/١٤).

(٣) ح ٣٧٩٨ كتاب مناقب الأنصار ، ح رقم ٤٨٨٩ كتاب التفسير باب قول الله عز وجل (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة).

(٤) فتح الباري (١٠٤/١١) ، (٢١/١٤-٢٢).

(٥) ح ٢٦٧٥ باب الحض على التوبة والفرح بها كتاب التوبة.

يرضى توبة عبده أشد مما يرضى واجد ضالته بالفلاة ، فعبر عن الرضا بالفرح تأكيدا لمعنى الرضا في نفس السامع ومبالغة في تقريره. [1] أ.هـ

(١) شرح مسلم للنووي (٢١٩/١٧).